

فن التصوير القبطي

محاضرة الأسبوع التاسع

د. أحمد عبد الحفيظ أحمد

مدرس الآثار المصرية القديمة

كلية الآثار – جامعة دمياط

أ.م.د/ عبده إبراهيم أباطة

أستاذ الآثار الإسلامية المساعد

وكيل كلية الآثار – جامعة دمياط

سبب ازدهار فن التصوير على يد الأقباط

يُعتبر فن التصوير من أهم الفنون التي ازدهرت على يد الأقباط منذ البدايات الأولى لظهور المسيحية، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى ما وجدته الأقباط من تراث فني كبير في المعابد المصرية القديمة أو المعابد اليونانية والرومانية المنتشرة في ربوع مصر، والتي قد دمر بعضها أو تخرّب؛ بينما بقي البعض الآخر يؤدي وظيفته حتى بعد انتشار المسيحية.

الهدف من التصوير عند الأقباط

وقد كان التصوير عند الأقباط مثل الفراعنة هُدف إلى العبادة وحث المؤمنين على معرفة الله. ولقد أبدل الأقباط نقوش الفراعنة والآلهة الكبرى بصور ونقوش لمجموعة من مؤسسي الرهبنة ورؤساء الأديرة.

الرسوم الخيال والدين

وبالتأكيد أن هذه الرسومات لم تكن خيالية، وإنما مأخوذة من الجو الديني، فقد لجأ الرهبان وغيرهم من الفنانين إلى رسم صور تمثل حوادث الكتاب المقدس في العهدين القديم والجديد، مثل: ذبح اسحق، والفتية الثلاثة في آتون النار، والسيدة العذراء تحمل الطفل.

الرسامين بين الواقعية والخيالية

وذخرت مكتبات الأديرة بكثير من هذه الصور التي تزين المخطوطات القديمة، وكانت كتابة هذه المخطوطات ولا تزال عملاً من أهم أعمال الرهبان داخل الأديرة، وكان من الطبيعي أن يختلف خيال الرسامين كما تختلف الزاوية التي ينظر منها الفنان إلى الحادثة ليحاول تصويرها، فمنهم من كان واقعياً لجأ إلى أشخاص الرواية دون غيرهم، ومنهم من كان خيالياً قد لجأ إلى ما أضافه خياله على القصة، فأشاع في الصورة لونا من درب الخيال يختلف باختلاف صاحبه

أساليب الرسم بين البساطة والحضرية

ولقد كان هناك أسلوبان للتعبير بطريقة الرسم، فهناك من اتبع في رسومه الطريقة الحضرية المستشفة من الروح الهلينية، وهناك من جعل أسلوبه بسيطاً ريفياً وهذا متأثر من الإحساس المصري القديم .

رسوم الحيوانات المجنحة

وتُعد تصاوير الكائنات المجنحة من الموضوعات المهمة في الفن القبطي؛ إذ اعتنى الفنان القبطي بتلك التصاوير منذ ظهور المسيحية، فنجد الفنان القبطي يستخدمها في أعماله الفنية المختلفة؛ لأنه وجد في هذه التصاوير متنفساً لتوضيح عقيدته المسيحية الجديدة التي لاقت تعنتاً من قبل السلطة الرومانية الحاكمة والتي كانت تدين بالوثنية.

أماكنها وأشكالها

ونتيجة لذلك حملت التصاوير المتبقية منها في طياتها عدة معاني رمزية (دينية) وفنية. وقد وُجِدَت تصاوير الكائنات المجنحة في الكثير من الأعمال الفنية كالمخطوطات والرسوم الجدارية.

وتعددت أشكال تلك الكائنات المجنحة؛ فمنها الأدمية (مثل الملائكة القديسون، والملائكة الساقطون، والقديسون المجنحون)، ومنها –أيضا- الحيوانية والزواحف (مثل الثور، والأسد، والتنين) ، بالإضافة إلى تصاوير الطيور.

الفرييسكو

ويتميز هذا الأسلوب الفني المعروف بالفرييسكو بخلط الألوان مباشرة، مع الماء، دون استخدام لأي وسيط، ثم يرسم بالألوان على الجص، قبل أن يجف، وهذا من شأنه أن يعطي للألوان ثباتاً أكثر بسبب تغلغل الألوان في الجص، حيث إنه يتشرب جزءاً كبيراً منها.

أساليب الرسم الأخرى

ويختلف عن الرسم في أسلوب التامبرا Tempera ، حيث تخلط الألوان بمزيج لزج مثل الغراء، ثم يرسم على الحائط، بعد تغطيته بطبقة من الجير، تكون قد جفت تماماً. وكذلك يختلف عن أسلوب الأنكوزاتا "Encaustic"، حيث تخلط الألوان بالشمع، ويُضاف إليها في بعض الأحيان مقدار بسيط من الزيت، مما يكسب الرسوم بريقاً، بحيث تبدو وكأنها مرسومة بالزيت. ويتميز أسلوب الرسم بالفرسكو بسهولة وقلّة تكاليفه وبقاؤه على مر الزمن.

الفريسيكو في الحضارات السابقة

واشتهرت هذه الطريقة في كل الحضارات السابقة على الفنون القبطية، كالفن الروماني والفن البيزنطي، ومن قبل ذلك في الفن المصري القديم؛ إلا أن الفنان كان يقوم بالرسم على الجص بعد جفافه. كما تتم هذه العملية على الخشب كذلك.

الفريسكو على الجداريات

اللوحات الجدارية، هي رسم أو تصميم يزين الحائط، وتزين أغلب اللوحات الجدارية الجدران الداخلية للمباني، وقد يُوضع بعضها على السقوف أو الجدران الخارجية، وتكون الجداريات الداخلية منسجمة مع طراز الغرفة ومقاييسها، بحيث يتناسب مع الأبواب والنوافذ والأثاث بشكل فني.

وتُعتبر الجداريات فناً مختلفاً تماماً عن الأيقونات، وفي كنيسة أبي سيفين يوجد رسم جدارية للقديس مارجرس بالحصان الأبيض، وتوجد بعد خطوات قليلة من الهيكل يساراً، وتم الانتهاء من ترميمها.

جدارية العذراء ترضع المسيح



لقد كان من أهم مظاهر التأثيرات المصرية في الفن القبطي موضوع كثير تمثيله على العديد من الفنون القبطية، ألا وهو تصوير السيدة القديسة العذراء مريم (عليها السلام) تُرضع ابنها الطفل المسيح (عليه السلام)، كما يتضح ذلك في كنيسة الدير الأحمر

وقد تأثر الفنان القبطي في هذا بمنظر الإلهة إيزيس تُرضع ولدها حورس، وذلك للتعبير عن الأمومة، ولذا فهذا الموضوع مصري صميم، واقتبسه الفنان البيزنطي من مصر القبطية المسيحية.

وانتشر هذا المشهد في حنيات أو شرقيات الكنائس، ثم ذاع تصويره في المخطوطات، وعلى جدران الكنائس، في أوروبا خلال العصور الوسطى، وامتد أكثر من ذلك حتى وصل إلى فنون عصر النهضة في أوروبا.

فن الفريسكو على الخشب



وقد وجه الأقباط عناية كبيرة في زخرفة الجدران والمحاريب الموجودة بالكنائس بالفريسكو، فسجلوا عليها تصاوير جدارية ملونة موضوعاتها مستمدة من قصص الأنبياء والأحداث الدينية.

ولا يتميز طابع هذه الصور كثيراً عن طابع التصوير البيزنطي، الذي يتسم بالصلاة والجمود، ويظهر هذا الطابع في تصوير ملون على لوحة خشبية لموضوع ديني.

هذا كما رُسمت بورتريهات لأشخاص على الخشب بالفريسكو بالألوان، فيما عُرف ببورتريهات القيوم، فمن ذلك صورة بورتريه لشخص ذو لحية وتارب، وهي محفوظة بالمتحف القبطي.

للاستفسار

Google Classroom Code:

ww6bukv